

الأمثال الشعبية والثقافة السياسية في ليبيا

١. محمد سالم مامي*

المقدمة :

اجمع العديد من المهتمين بقضية الديمقراطية والممارسة الديمقراطية في النظم السياسية على العلاقة الوطيدة التي تربطها بالمشاركة السياسية ، والتي تتأسس على عدد من الأسس، من بينها الثقافة السياسية التي تسود المجتمع ، والتي تعتبر جزءاً من الثقافة العامة للمجتمع . حيث تلعب ما تحمله الثقافة العامة من قيم ومعتقدات ، أدب وفنون وتوجهات وأفكار وتصورات ، وسلوك ترسخت عبر تاريخ طويل من تطور المجتمع ، دوراً مؤثراً في تكوين الثقافة السياسية ، وبالتالي في عملية المشاركة السياسية .

هذه الورقة ما هي إلا محاولة للاقتراب من استكشاف نوع الثقافة السياسية في ليبيا ، من خلال دراسة بعض الأمثال الشعبية الليبية ، وتحليلها لمعرفة مضمونها السياسي ، حيث أن الأمثال الشعبية في ليبيا ترسخ للعديد من قيم الثقافة السياسية التابعة أو الرعوية ، والتي تعكس قيماً وأنماط سلوك وتوجهات وأفكار تؤثر في عملية المشاركة السياسية ، وبالتالي تنعكس على الممارسة الديمقراطية وتتعلق هذه الدراسة من فرضية مفادها أن بعض الأمثال الشعبية في الثقافة الليبية تحمل مضامين سياسية تعكس إلى حد كبير نمط الثقافة السياسية الرعوية التابعة ، حيث أن تلك الأمثال الشعبية تمثل جزءاً من الثقافة العامة للمجتمع .

ستتم محاولة الاقتراب هذه من خلال التعرف على الثقافة السياسية وأنواعها بصورة عامة وعلاقتها بالثقافة العامة للمجتمع ، ثم تحليل مضمون مجموعة من الأمثال الشعبية الليبية ، للتعرف على المضمون السياسي لتلك الأمثال المختارة ، وإلى أي نوع من الثقافة السياسية تشير ؟ أو ما هي الدلالات والمضامين السياسية لتلك الأمثال ؟

* محاضر ، قسم العلوم السياسية ، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية ، جامعة قارونس ، بنغازي — ليبيا

أولا : الثقافة السياسية وأنواعها

"تعتبر الثقافة عنصراً هاماً من عناصر التراث الاجتماعي ، وتشمل الثقافة فيما تشمله ما يتلقاه الفرد عن الجماعة من مظاهر الفنون والعلوم والمعارف والفلسفة والعقائد وما إليها ، ويرجع إلى هذا التراث الفضل فيما وصل إليه الأفراد من مستوى اجتماعي وحضاري".⁽¹⁾

لكن ورغم اختلاف التراث الاجتماعي وتباينه بين بيئة وأخرى تبعا لطبيعة البيئة ، من حيث الحجم والتركيب الطبقي والسكاني وما تعرضت له من تجارب ومراحل تطور⁽²⁾ عبر تاريخها ، غير أن سلوك الفرد يبقى مرتبطا بثقافة المجتمع الذي يعيشه ، فذلك السلوك يتقرر بما تفرضه قواعد المجتمع ونظمه والتي يتعلمها الفرد منذ ولادته ، فتفرض عليه تصرفات وتوجهات تكون أسسها مستمدة من ثقافة المجتمع⁽³⁾ بل يذهب جون دولارد إلى القول بأنه "بالإمكان عن طريق بضعة افتراضات معينة ، تحديد نوع الأفكار والآراء التي سيعتنيها شخص ما ، تحديداً مسبقاً قبل مولده ، إذا نحن درسنا تراثه الثقافي . والحجة التي يسوقها جون دولارد للبرهنة على ذلك ، هي أننا كلما ازدادنا فهماً ومعرفة بالطبقة التي ينشأ في ظلها الفرد وبطرز التراث الثقافي السائد ، ازدادنا قدرة على تحديد خصائص هذا الفرد قبل مولده".⁽⁴⁾

تعتبر الثقافة العامة للمجتمع مصدراً ومنبعاً للثقافة السياسية ، حيث تشمل قيماً ومعتقدات تحتويها الثقافة العامة ، فهي تشكل فرعاً من تلك الثقافة بما تحتويه من عناصر مختلفة ومتعددة ، وقد تكون كذلك متناقضة ، ومن أبرزها التراث الشعبي ، وهي حسيبة التفاعل بين عوامل عديدة من بينها الخبرة التاريخية والوضع الجغرافي والدين ، والظروف الاجتماعية والاقتصادية ، وهي تضم ثقافات سياسية فرعية أو ثانوية ، حيث تختلف الثقافة السياسية بين شريحة أو فئة أو طبقة وأخرى بالمجتمع ، فاختلاف الثقافة السياسية ، يظهر بين ما يحمله الحضر والبدو ، الشيوخ والشباب ، الصفوة والجماهير ، المدنيين والعسكريين ، وقد أشار الموند إلى أن كل نظام سياسي "يترسخ حول أنماط محددة من التوجهات التي تضبط التفاعلات التي يتضمنها النظام الاجتماعي ، وبالمثل تكون الثقافة السياسية بمثابة التنظيم غير المقنن للتفاعلات السياسية (التي) هي جزء من الثقافة العامة للمجتمع وإن كانت تتسم بشيء من الاستقلالية داخلها"⁽⁵⁾

وقد أكد فيربا على علاقة الثقافة السياسية بالثقافة العامة بقوله " إن المعتقد الأساسي وأنماط القيم في الثقافة - وهي تلك القيم العامة التي لا تُشير أو تدل على أهداف سياسية محددة - تلعب عادة دوراً رئيسياً في بناء الثقافة السياسية . إن أبعاد المعتقد الأساسي مثل نظرة الإنسان لعلاقته مع الطبيعة أو منظوره للوقت وتصوره للطبيعة الإنسانية والطريقة السليمة للتكيف مع أخيه الإنسان ، إلى جانب التوجهات تجاه النشاط والحركية بصفة عامة لها علاقة متبادلة بشكل واضح مع الاتجاهات السياسية المحددة . " (6)

وقد ركزت دراسات عديدة للثقافة السياسية على القيم الاجتماعية ونظام المعتقدات ، وأشكال السلوك في بيئات ثقافية مختلفة على اعتبار أن ما يسود تلك المجتمعات أو البيئات الثقافية المختلفة من قيم ومعتقدات يؤثر في أنماط سلوك وتوجهات الأفراد ، وفي رؤيتهم للنظام السياسي الذي يعيشون فيه (7)

عرِّفت الثقافة السياسية بأنها "مجموعة التوجهات السياسية والاتجاهات والأنماط السلوكية التي يحملها الفرد تجاه النظام السياسي ومكوناته المختلفة وتجاه دوره كفرد في النظام السياسي". (8)

وعرِّفت أيضاً بأنها " منظومة القيم والأفكار والمعتقدات المرتبطة بظاهرة السلطة في المجتمع " (9)

وقد حدد الموند أربعة أبعاد تتكون منها الثقافة السياسية من بينها التوجهات الذاتية للأفراد تجاه العملية السياسية ، وما يحملونه من مشاعر وأحاسيس ، وتقييمات ، ومعتقدات وخبرات ومعلومات والتزامات بقيم سياسية ، كما أشار إلى أهمية عملية التنشئة السياسية للفرد منذ طفولته ، وما يتعرض له من وسائل تأثير عبر مراحل حياته المختلفة ، في تشكيل ثقافته ومعتقداته السياسية ، مما يعني أن الثقافة السياسية لأي مجتمع هي محصلة أو نتاج لعملية التنشئة السياسية ، رغم أن ما يتعرض له الفرد من قنوات للتنشئة المختلفة ، قد لا يكون ذا أبعاد سياسية مباشرة ، ولكنه ذو اثر في تحديد شخصيته وسلوكه واتجاهاته السياسية والمستقبلية، والتي تتحدد بثلاثة أبعاد هي إدراك الفرد للنظام السياسي و أدواره المختلفة ، ثم مشاعره تجاه النظام السياسي والسلطات والسياسات العامة، و أخيراً تقييمه و آراءه تجاه كل ذلك ، حيث يمكن ومن خلال ذلك قياس الثقافة السياسية في أي مجتمع بمعرفة الأبعاد الثلاثة تجاه النظام السياسي ، وجانب المدخلات والمخرجات ودور الفرد في الحياة السياسية (10)

حيث تم تقسيم الثقافة السياسية إلى ثقافة سياسية ضيقة أو محلية وهي تشير إلى أن أفراد أي مجتمع لا يحوزون على أي قدر من المعرفة ، أو القدرة أو الرغبة في التقييم

أو الحكم تجاه النظام السياسي من مُدخلات ومخرجات ، أو في أدوارهم تجاه العملية السياسية كمشاركين ومؤثرين ، وينحصر دورهم في الانصياع إلى مخرجات النظام ، والالتزام بها ، نتيجة عجزهم أو عدم معرفتهم لأية بدائل أخرى أو لعدم رغبتهم في طرح آرائهم أو مساهمتهم . أما النوع الثاني من الثقافة السياسية فهي ما عُرف بالثقافة السياسية التابعة أو الرعوية والتي تشير إلى تدني مستوى المشاركة والمساهمة من قبل أفراد المجتمع في مدخلات النظام السياسي ، رغم معرفتهم بمخرجاته ، حيث يكون امتناعهم وعزوفهم نتيجة لئاسهم من جدوى المشاركة والمساهمة ، أو لقناعتهم بعدم القدرة على التأثير . بينما أطلق على النوع الثالث من الثقافة السياسية اسم الثقافة السياسية المشاركة ، وهي تشير إلى إدراك ومعرفة أفراد المجتمع للنظام السياسي ومؤسساته مدخلاته ومخرجاته ، وبأدوارهم كمشاركين ومساهمين في العملية السياسية ، وبقدرتهم على التأثير في العملية السياسية (11)

إن محتوى الأنواع الثلاثة للثقافة السياسية تشير جميعها إلى ما يحمله الفرد من قيم ومعتقدات ومعلومات ومعارف وتجارب اكتسبها وتعلمها بطريقة مباشرة أو غير مباشرة ، مخطط أو غير مخطط عبر مراحل عمره المختلفة ، وعن طريق قنوات التنشئة المختلفة ، اجتماعية أو سياسية ، أثرت في سلوكه وتوجهاته وإدراكه وتصرفاته في مختلف جوانب الحياة السياسية ، هذا المحتوى الذي تشير إليه الثقافة السياسية بأنماطها الثلاث ، لا يعدو عن كونه جزءا من الثقافة العامة للمجتمع ، بما تحتويه من معتقدات وقيم وأفكار وأنماط سلوك ، تنتقل وتورث من جيل لجيل ، فالثقافة السياسية تبقى عاملا مهما في التفسير السياسي وذلك إلى جانب العوامل والمتغيرات الأخرى ، مثل العلاقات الطبقية والمؤسسات السياسية وتفاعل القوى الدولية . إن العديد من الظواهر السياسية لا يمكن تفسيرها بدون فهم المحيط الثقافي الذي تحدث فيه .. (و) دون فهم وإدراك المتغيرات الثقافية مثل دور الدين والإطار القانوني والأيديولوجيات والحالة النفسية للمواطنين (12)

إن ارتباط الثقافة السياسية في أي مجتمع بالثقافة العامة يجعل من الضروري تحديد أبعاد الثقافة العامة وما تحتويه من عناصر ومكونات ، قيم ومعتقدات وأفكار تنتقل إلى الأجيال التالية والمتعاقبة ، تؤثر بشكل مباشر أو غير مباشر ، في مدارك ومشاعر ، وتصرفات الأفراد اجتماعياً وسياسياً ، وتجعل من الضرورة تحديد ماهية تلك الدلالات التي تحملها مكونات الثقافة العامة لأي مجتمع ، وإلى أي نوع من الثقافة السياسية تشير ، وحيث أن من مكونات الثقافة العامة لأي مجتمع العرف والذي يتمثل في " الحكم والأمثال والأغاني الشعبية والقصص الأدبية ، التي تعتبر مظهراً من مظاهر التراث الثقافي ، والتي تصور لنا التاريخ الأدبي واللغوي وتلقي ضوءاً على

التاريخ القومي ... (كما أن) لهذه الحكم والأمثال نوعاً من السلطة الأدبية ، وهذه السلطة مستمدة من فكر الجماعة ومن منطق العمل الجماعي. ولذلك نرى أن الأفراد يستشهدون بها في كتاباتهم وأحاديثهم ، ويدعمون بها آراءهم وحُججهم ، ويعتمدون عليها في تبرير كثيراً من أعمالهم، وترتبط هذه الألوان الأربعة بمختلف أوجه النشاط الاجتماعي فمنها : ما يتصل بالنواحي السياسية والاقتصادية ومنها ما يتصل بالنواحي الأخلاقية والإنسانية الأسرية .⁽¹³⁾

من هنا كان اختيار بعض الأمثال الشعبية وباعتبارها من مكونات التراث الثقافي لأي مجتمع ، لتحليل مضمونها وإلى أي نوع من الثقافة السياسية تُشير .

ثانيا : المضامين السياسية للأمثال الشعبية :

تأتي أهمية تحليل مضمون الأمثال الشعبية من اعتبارها من مكونات الثقافة العامة للمجتمع ، التي تشكل الوعاء الذي تتشكل فيه الثقافة السياسية ، حيث تعتبر الأمثال الشعبية والتي تتميز ببساطة الأسلوب والإيجاز ، ووضوح المعاني ، وتصوير حقائق الحياة الاجتماعية والثقافية للمجتمعات " وتعكس الواقع الاجتماعي بأبعاده السياسية والاقتصادية والدينية "⁽¹⁴⁾ كما تعتبر الأمثال الشعبية من وسائل التعبير الصادقة والدقيقة عن ثقافة المجتمع وشرح أساليب حياته فهي "الوسيلة التعبيرية التي يتخذها الإنسان في وصف تجربته الخاصة ، وفي تقديم تصرفات غيره ، وفي عرض وسائل حياته ، وطرق معيشته ، ونفسية وطبائع أفراد مجتمعه"⁽¹⁵⁾

والأمثال الشعبية في ليبيا هي نتاج تراكمات تجارب وحضارات وثقافات متنوعة ومختلفة ، نتيجة ما تعرضت له ليبيا من هجرات وغزوات واتصالات بأمم وحضارات مختلفة ، حملت معها قيمها ومعتقداتها فاكتملت منها ، وتأثرت بها ، ولكن "ما ينبغي التأكيد عليه ، هو أن جميع الأمثال المتداولة في ليبيا، تعبر عن وجهة نظر الليبيين حيال جميع القضايا ، وتحظى بألفتهم واستحسانهم ، وهذا يكفي لجعلها تشكل مخزوناً تراثياً واحداً بصرف النظر عن أصولها الأولى (فالمثل الشعبي) وإن تعددت أصوله ، واختلقت مصادره يكون تراثاً شعبياً واحداً ، لأنه يعبر بكامل ما جاء فيه تعبيراً صادقا عن مشاعر الليبيين وأفكارهم ، وينقل الجوانب الرئيسية من تاريخهم وثقافتهم العملية والنظرية " ⁽¹⁶⁾

وبربط هذه الأمثال الشعبية ومضمونها بعناصر ومكونات الثقافة السياسية بأنماطها الثلاث وما تحتويه من خصائص وسمات وقيم واتجاهات ، وأنماط سلوك

ومعتقدات ، يلاحظ أن العديد من هذه الأمثال الشعبية، ترمز وتشير إلى قيم وأفكار حول السلطة أو الحاكم أو السلطان تتمثل في عدم القدرة على مواجهة تلك الرموز أو ما يشير إليها سواء كانت قوة طبيعية كالكوارث أم قوة مادية أو اقتصادية أو اجتماعية، فالمثل الشعبي الذي يقول : " الاید ما یغایدش المیشفة" والمشفة هنا هي المنجل و "من یقدر یقول للصید فمک انخر" (17) تدل على عدم القدرة على المواجهة ، فالمشفة والصید مفردات تشير وترمز إلى القوة والتي تشير أيضا إلى السلطة من الوجه السياسي ، وهي إشارات تدل على ضعف الفرد أمام تلك القوة وعدم القدرة على المواجهة ، هذه المواجهة التي لا يمكن أن تحدث إلا في غياب تلك القوة أو السلطة (السلطات) حيث يعبر عن ذلك بمثل آخر يقول "یلعن بُو السلطان في غیبهته"(18) يبرز الخوف وعدم القدرة على مواجهة السلطة أو النظام الحاكم بصورة أكثر وضوحاً في ذلك المثل الذي يقول "ألّی خاف سلیم" (19) وفي "الفم المسکر ما یدخله ذبان" (20)

إن هذه العلاقة ، علاقة الخوف ، وعدم القدرة على المواجهة، والتي تبدأ من "علاقة القهر والرضوخ تجاه الطبيعة ، علاقة العنف الكامن بينه وبينها، تضاف إلى قهر من نوع آخر ، قهر إنساني . الإنسان المتخلف ، هو في النهاية الإنسان المسحوق أمام القوة التي يفرض السيد عليه قهرها ، أو التسلط ، أو الحاكم المستبد ، أو رجل البوليس" (21). تؤدي حتماً إلى وضعية وعلاقة أخرى ، بل حالة تتأب الفرد المواطن ، تتمثل في السلبية واللامبالاة وعدم الاكتراث بكل ما يدور حوله ، بل تشد تلك الحالة الناتجة عن مرحلة الخوف وعدم القدرة على المواجهة إلى حد الرضوخ والاستسلام ، فالمثل الشعبي الذي يقول " اللّی رافع قربة تقطر على سيقانه - اللّی تلقاه راكب على خشبة قوله مبروك الحصان" (22)

"ألّی یاخذ أمنا هو أبونا- العیشة ولو كان تحت حافر حمار - حط رأسك بین الروس (وقول یا قطاع الرأس) " (23) بل يتمثل الخضوع والاستكانة في أقصى معانيها في " اللّی تخدمه طبعه واللّی بثرهنة بيعه -اللّی خصيمه القاضي لشكون يشكي" (24) هذه الرؤية والحالة التي يعيشها المواطن الفرد تجاه السلطة من سلبية وعجز وخضوع تتولد عنها حالة من الشعور اشد وطأة وهي " الوقوع في الدونية كقدر مفروض. " (25) والتي يعبر عنها في أمثال شعبية كا " میة حبة كسکسو مايجو قتان - الذلة ولا أخل الدار - مايجي من العرب باشا ولا من الحطب ماشا - لا یلحق العربي دولة إلا المسحة والجدولة -العين ما یغلا (تعلی) على الحاجب (حاجبها) " (26)

ويصاب المواطن الفرد تجاه السلطة والحاكم والسلطان وتجاه كل ما يرمز لها بحالة من الكراهية ، فيحاول الابتعاد عن رموزها ، وما يقربه لها ، بل يسعى إلى النفور وعدم الاقتراب منها ، لعدم قدرته على مواجهتها وعجزه عن الوقوف ضدها واتقاء لشرها ، ولشعوره بدونيته واستصغار شأنه أمامها، وهي حالة من عدم الثقة في النفس، فالمواطن يبتعد عن السلطة والنظام السياسي " ويقطع الصلة به . يغذي مشاعر عدااء باطنية تجاهه تعزز ميله إلى تجنبه وتجنب رموزه و أدواته ، وتتضخم عنده مشاعر الفرقة والاختلاف اللذين يغذيهما الخوف بالإضافة إلى العدوانية الباطنية ، علاقة الخوف والعدوان ، لا تبعده عن المتسلط فحسب ، بل عن كل ما يمثله من نمط حياة وقيم وأدوات (الشرطة ، المحاكم ، القضاء ، الإدارة ، .. الخ)⁽²⁷⁾ ، ويعبر عن كل ذلك في أمثال شعبية تحمل وتمثل تلك المعاني وتشير إليها " الايدّ أليّ ما تقدّر نعضها بوسها - باشا ألي ماعرفش الباشا - عاد باشا ولا تعاد عسكري - ثلاثة مالينهم (لهم) أمان : الدنيا والبحر والسلطان " (28) إن المواطن الفرد وبحكم علاقة العدااء والنفور والابتعاد ومشاعر الكراهية تجاه السلطة والحاكم يعبر عن نوع من " الشك والحذر والحيلة من الأذى الذي قد يلحقه به المتسلط وأدواته ... (فهو) ... لا يتجنب العلاقة المباشرة فحسب ، بل يتهرب من المشاركة في كل ما هو عام . انه يقف موقف المتفرج العاجز أو الشامت ، لا يستجيب لنداء ، ولا ينخرط في نشاط ولا يساعد فيما يرتد على الجموع بشيء من الخير " (29)

ورغم تلك المشاعر والأحاسيس التي تنتاب الفرد تجاه السلطة والنظام السياسي وتجاه نفسه وذاته ، يلاحظ عليه محاولة التماهي بالسلطة والحاكم وتقليد تصرفاته ومحاكاته " مظنبر زيّ الباشا - قاله له : يابوي امتي نولوا شرفا قال له : امتي يموتو كبار الحومة " (30)

كما يحاول المواطن الفرد أيضا أن يعبر عن كرهه للسلطة ورموزها رغم محاولته التماهي بها من خلال تعبيره عن كل ذلك بقوله " مشنية متصرف (حصان) لقزان (دليل البعد وتمني عدم العودة) - دقّ رزق حكومة " (31) . كما يعبر عن إحساسه بفساد السلطة والحاكم ويحدد موقفه من ذلك من خلال تبنيه لأفكار ومشاعر تمثل كرهه لذلك في أمثال شعبية مثل " الحوته خامرة من رأسها - صلاة القياد جمعة و عياد " (32)

كل هذه الأمثال الشعبية وما تحملها من قيم ومعتقدات ومواقف ومشاعر تؤدي إلى نتائج أسوأ منها ، فهي تقود إلى السلبية والانكفاء على الذات ومحاولة الاحتماء بالجماعة (القبيلة والعشيرة) بل تقود أيضا إلى التملق والتزلف

والرياء " والنفاق والخضوع الكلي للحاكم؛ مثل : طيس تخطاك ، المحتاج يقول للكلب : يا سيدي... امشي صحيح لا تعثر ولا تطيح " (33) وتظهر السلبية في المثل الشعبي " اللي يعطيك حبل كتفه بيه - اخطى رأسي وقص - نلحس مسني ونبات متهنى - العب وحدك ما تشك " (34)

إن محاولة الفرد التعبير عن سلبيته والابتعاد عن السلطة أو المشاركة فيها ورفض الاقتراب منها تصل " إلى حد التمسك الشديد بالجماعة وراثتها خصوصاً في مجابهة المتسلط الخارجي (المستعمر) وبذلك تندعم التقاليد وتقوى شوكة دعوة العودة إلى الماضي العريق ، يضاف إلى هذه الدعوة ميل للذوبان في الجماعة المرجعية لدرجة تزول معها الفردية بشكل شبه كامل " (35) ويظهر التعبير عن ذلك في " ملس من طينك ابقى لك - غطة دم ولا ألف صاحب - النعجة الطياشة من سعد الذيب " (36) " اللي كيف الناس لا باس - اللي بيبك بغيرك " (37)

أما التزلف والنفاق فلعل في المثل الشعبي الذي يقول " كان خشيت بلاد يعبدوا في العجل عليك بحش الحشيش " (38) " أرخي روحك تعوم " (39) تدل دلالة واضحة على عدم الاستقلالية في الرأي أو القدرة على إيدائه ومخالفة أو معارضة أي موقف حتى وإن كان ما يمارس غير صحيح ، بل تدعو هذه الأمثال إلى الرياء والتشبه بما هو موجود ، دون موضوعية أو مخالفة سواء لعدم قدرة أو لخوف .

إن استعراض هذه الأمثال المختارة ، كمحاولة لإبراز ما تحتويه من قيم وأفكار ومعتقدات ، وأنماط سلوك ، ومشاعر وأحاسيس تجاه السلطة والحاكم والنظام السياسي ، والذي تمثلت في رموز مثل الباشا - السلطان - السيد - الصيد - الحاجب - المتصرف ، إلى غير ذلك من الرموز ؛ والتي تشير إلى القوة أو النخبة أو المرتبة العليا ، أبرزت و أوضحت العديد من القيم والمعتقدات والكثير من التوجهات التي تشير إلى ذلك النمط من الثقافة السياسية التابعة أو الرعوية مع ميل أحياناً وبصورة قليلة إلى الثقافة السياسية الضيقة أو المحلية ، بما تحمله من صفات وخصائص وسمات وما تحتويه من قيم تتمثل في عدم المبالاة والسلبية والعجز ، وعدم المعرفة والإدراك ، أو لعدم الرغبة أو الإحساس بعدم الثقة في النفس ، يمكن القول أن الكثير من الأمثال الشعبية ترسخ وتؤكد مثل هذه السمات والصفات والخصائص والتي تعبر عنها الثقافة السياسية التابعة .

فالهروب من مواجهة الواقع والتحديات والاستسلام أمام أية صعوبات مادية أو نفسية ، تبرر بالعديد من القيم التراثية والرموز والحكم والأمثال ، التي تضيء على

تصرفات الفرد وسلوكه المشروعية ، والامثال والقبول ، بل الانكفاء على الذات والتفوق والقدرية ، وهي سمات يتسم بها الإنسان المقهور الذي يحد " من طموحاته ... بأن يتقبل مصيره ، أو يحاول إيهام ذاته بتقبل هذا المصير. ويغرق في بؤسه الذي يتخذ عندها طابع القدر والنصيب " (40)

ولكن ما يجب مراعاته أن هناك أمثالا مشتركة تصور " تقاليد غريبة عن التقاليد العربية الفضلى ، وتعكس قيما أخلاقية مخالفة للقيم العربية التي نعهد لها . ويبدو أن هذه الأمثال شاعت في عهود التخلف الحضاري والاستبداد السياسي والقهر الاجتماعي التي لم ينتج بلد عربي من أثارها السيئة " (41)

كما يجب مراعاة ورغم ذلك أن تلك الأمثال الشعبية أصبحت جزءا لا ينفصم ولا يتجزأ من التراث الشعبي " وتشكل مخزوناً تراثياً واحداً بصرف النظر عن أصولها الأولى " (42) وهي بذلك أصبحت تشكل جزءا من التقاليد التي تكون " أولية دفاعية ضد قلق مجابهة المسؤولية الذاتية . فهي (التقاليد) بما يسبغ عليها من صفات القانون الطبيعي ، تتضمن تبريراً للعجز الذاتي عند الإنسان المقهور . فإذا كان راضخاً أو فاشلاً أو بائساً ، وإذا كان عاجزاً عن تحمل تبعية مصيره والنهوض للتحديات التي تطرحها عليه علاقة القهر وضرورة التحرر منها " (43) .

وأخيراً وفي نهاية محاولة الاقتراب هذه وكما يقول المثل الشعبي (الكلام بلا معنى سفاهة) إن خطورة وأهمية هذه الأمثال الشعبية وبما تحمله من قيم تكمن في أنها من ضمن تراث المجتمع الذي هو جزء من عناصر الثقافة العامة ، وعاء الثقافة السياسية التي تتأسس عليها عملية المشاركة السياسية من قبل أغلب المواطنين وإلى الشعور بالاقتدار السياسي أي الشعور بالقدرة على التأثير في مجريات الأحداث ، والحياة السياسية ، بوسائل متعددة ، بداية من التعبير عن الآراء ، ووجهات النظر المعارضة أو المؤيدة ، تجاه قضايا المجتمع المختلفة ، والتسامح الفكري الذي لا يخرج عن كونه كفالة حرية التعبير وإبداء الرأي ، واحترام كل وجهات النظر ، والقبول بمبدأ المنافسة ، دون خوف أو كبت ، علاوة عن ضرورة توفير روح المبادرة والمبادأة في جانبها السياسي ، والاقتصادي ، والاجتماعي ، مع توفر الثقة بين أفراد المجتمع ونظامهم السياسي ، وبين مؤسسات النظام السياسي (44) مما يسمح ذلك بترسيخ نمط من العلاقات في المجتمع ، وقواعد وأسس وقيم تضمن مشاركة سياسية فعالة ، ترسخ وتؤكد الديمقراطية التي "لن يكون بالإمكان إرساء قواعد ممارسة ديمقراطية سليمة وتكريسها في إطار بنية سياسية ملائمة ، إلا عندما ترتقى بنية الثقافة السياسية إلى مستوى وقواعد وأسس العمل الديمقراطي بمبادئه ومضامينه التي تركز على الإيمان

بالمواطنة وما يترتب عليها من حقوق وامتيازات واعتبارات إنسانية أهمها المساواة والمشاركة السياسية الحرة " (45) .

إن خطورة وأهمية هذه الأمثال ، وهذا التراث تكمن أيضاً في أنها تنتقل وتنقل عبر قنوات التنشئة السياسية ، عن طريق التعليم غير المباشر وغير الرسمي وغير المخطط في مراحل عمر الفرد المختلفة ، حاملة معها كل القيم وأنماط السلوك. (46)

وهي تعتبر من " أكثر مكونات الثقافة مقاومة للتغيير (باعتبارها من) الاتجاهات والانتماءات العرقية (الاثنية) والدينية والقومية . فهي ارتباطات أولية من الصعب تغييرها " (47)

لذا سيكون وإذا أريد الرقي بمستوى الممارسة الديمقراطية أن يصحب ذلك " توسع المشاركة الديمقراطية وشمولية مفهوم المواطنة عملية تنشئة سياسية تدريجية وعملية تعويد على احترام قواعد اللعبة الديمقراطية ومبدأ سيادة القانون " (48)

ورغم أن التراث الشعبي أو الثقافة الشعبية قد تكون غير واعية أو مدركة ، وقد تكون تحمل قيماً وأفكاراً غير ديمقراطية ، وترسخ توجهات وسلوكيات سلبية تنعدم فيها قواعد وأسس وشروط المشاركة السياسية ، ولكنها لن تكون " معادية للديمقراطية عندما يتعلق الموضوع بتوسيع حقوق المواطن أمام السلطة أو استقلالية القضاء أو الحريات المدنية ... وقد أثبتت التجربة أن عملية ديمقراطية الثقافة الشعبية لا يمكن أن تبدأ من دون إصلاحات ديمقراطية تدريجية تعمق الثقافة الديمقراطية " (49) .

الهوامش

- (1) الخشاب ، مصطفى، علم الاجتماع ومدارسه ، الكتاب الثاني المدخل إلى علم الاجتماع ، القاهرة : الدار القومية للطباعة والنشر ، 1965- ص 189
- (2) نفس المصدر، ص 179
- (3) بدر ، احمد ، صوت الشعب ، دور الرأي العام في السياسة العامة ، الكويت : وكالة المطبوعات ، 1973، ص 125 .
- (4) نفس المصدر، ص 126 .
- (5) هلال ، علي الدين ونيفين مسعد ، النظم السياسية العربية ، قضايا الاستمرار والتغيير ، ط1 ، بيروت : مركز دراسات الوحدة العربية ، أبريل 2000. ص 122 ، 123
- (6) داوسن ، ريتشارد، و آخرون ، التنشئة السياسية ، دراسة تحليلية ، ترجمة مصطفى عبدالله ابو القاسم خشيم و محمد زاهي المغير بي ، ط1 ، بنغازي : منشورات جامعة قار يونس، 1998 . ص 141- 142 .
- (7) المغير بي، محمد زاهي بشير، قراءات في السياسة المقارنة ، قضايا منهجية ومداخل نظرية ، ط1، بنغازي : منشورات جامعة قار يونس ، 1994. ص 218
- (8) نفس المصدر، ص 219 .
- (9) هلال، علي الدين ونيفين مسعد ، مصدر سابق ، ص 123 .
- (10) المغيربي، مصدر سابق ، ص 219-225 .
- (11) هلال، علي الدين ونيفين مسعد ، مصدر سابق ، ص 124-125 .
- (12) المغيربي، مصدر سابق ، ص 238 .
- (13) الخشاب ، مصدر سابق ، ص 168 .
- (14) مغنية، مصدر سابق ، ص 19 .
- (15) حقيق، محمد (تجميع وتصنيف) ، كتاب الشعب سلسلة تحقق اشتراكية الثقافة 5، ط1، طرابلس: المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، 1978. ص 6، 5
- (16) مغنية ، حبيب يوسف، معجم الأمثال الشعبية الليبية ، ط1، ليبيا: الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان ،النوار 1425 ميلادية . ص 20، 37 .
- (17) نفس المصدر. ص 164، 521 .
- (18) نفس المصدر. ص 576 .
- (19) نفس المصدر. ص 110 .

- Abdelkafi, Mohamed, One Hundred Arabic Proverbs from (20)
Libya, first Published, London: Veron & yats Ltd., 1968. P 71
- (21) حجازي، مصطفى، التخليف الاجتماعي، مدخل إلى سيكولوجية الإنسان
المقهور، ط 1، بيروت : معهد الإنماء العربي ، 1976. ص 49 .
- (22) حقيق ، محمد ، مصدر سابق، ص 22،24 .
- (23) مغنية، مصدر سابق، ص.ص، 135،236،380 .
- (24) حقيق ،مصدر سابق ، ص 25،27 .
- (25) حجازي، مصدر سابق، ص 50 .
- (26) مغنية ، مصدر سابق ، ص.ص، 273،384،467،494،525 .
- (27) حجازي ، مصدر سابق ، ص 150 .
- (28) مغنية، مصدر سابق، ص.ص، 164،179،211،359 .
- (29) حجازي، مصدر سابق، ص 150،151 .
- (30) مغنية، مصدر سابق، ص 412،512 .
- (31) نفس المصدر ، ص 266،512 .
- (32) نفس المصدر، ص 244،339 .
- (33) نفس المصدر ، ص 214 .
- (34) حقيق، مصدر سابق، ص.ص 8،17،21،94 .
- (35) حجازي ، مصدر سابق ، ص 151 .
- (36) مغنية، مصدر سابق ، ص 531، 514 .
- (37) حقيق ، مصدر سابق ، ص 22،27 .
- (38) مغنية، مصدر سابق ، ص 226 .
- (39) حقيق ، مصدر سابق ، ص 9 .
- (40) حجازي ، مصدر سابق ، ص 150 .
- (41) مغنية، مصدر سابق ، ص 24 .
- (42) مغنية ، مصدر سابق ، ص 21 .
- (43) حجازي، مصدر سابق، ص 158 .
- (44) المنوفي ، كمال ، " الثقافة السياسية وأزمة الديمقراطية في الوطن العربي " ،
المستقبل العربي، السنة الثامنة، العدد 80، أكتوبر 1985، ص 67،71 .
- (45) البييج، حسن علوان ، " الديمقراطية وإشكالية التعاقب على السلطة"،
المستقبل العربي، السنة الحادية والعشرون ، العدد 236، أكتوبر 1998، ص 102 .
- (46) المغبري، مصدر سابق ، ص 222 .

- (47) نفس المصدر ، ص 232 .
- (48) بشارة ، عزمي ، "التحول الديمقراطي التدين الشعبي نمط التدين الجماهيري"، المستقبل العربي، السنة الحادية والعشرون ، العدد 236، أكتوبر 1998، ص 87 .
- (49) نفس المصدر، ص 88

المراجع

أولا : الكتب :

- 1- بدر، احمد ، صوت الشعب دور الرأي العام في السياسة العامة، الكويت : وكالة المطبوعات ، 1973.
- 2- داوسن ، ريتشارد، و آخرون ، التنشئة السياسية دراسة تحليلية ، ترجمة مصطفى عبد الله أبو القاسم خشيم ومحمد زاهي المغربي، ط1 بنغازي: منشورات جامعة قار يونس ، 1988.
- 3- هلال ، علي الدين ونيفين مسعد ، النظم السياسية العربية قضايا الاستمرار والتغيير، ط1 بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية ، أبريل 2000 .
- 4- حجازي مصطفى ، التخلف الاجتماعي ، مدخل إلى سيكولوجية الإنسان المقهور ، ط1 ، بيروت : معهد الاتحاد العربي، 1976 .
- 5- حقيق، محمد (تجميع وتصنيف) ، كتاب الشعب سلسلة تحقق اشتراكية الثقافة 5 ، ط1 ، طرابلس : المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، 1978 .
- 6- المغربي، محمد زاهي بشير، قراءات في السياسية المقارنة العامة، قضايا منهجية ومدخل نظرية ، ط1 ، بنغازي: منشورات جامعة قار يونس، 1994 .
- 7- مغنية، حبيب يوسف ، معجم الأمثال الشعبية الليبية ، ط1 ، ليبيا: الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان ، النوار 1425 ميلادية.
- 8- الخشاب ، مصطفى ، علم الاجتماع ومدارسه ، الكتاب الثاني ، المدخل إلى علم الاجتماع ، القاهرة: الدار القومية للطباعة والنشر ، 1965 .
- 9- Abdelkafi, Mohamed , One hundred Arabic Proverbs from Libya, 13 first Published ;London: Vernon & yates LTD , 1968.

ثانيا : الدوريات:

- 1-البيج، حسن علوان، "الديمقراطية وإشكالية التعاقب على السلطة"، المستقبل العربي، السنة 21 ، العدد 236، أكتوبر 1998 ، (95-107) .
- 2-بشارة ، عزمي ، التحول الديمقراطي التدين الشعبي نمط التدين الجماهيري " ، المستقبل العربي ، السنة 21، العدد 236 ، أكتوبر 1998 ، (86- 94) .
- 3-المنوفي ، كمال، " الثقافة السياسية وأزمة الديمقراطية في الوطن العربي " ، المستقبل العربي ، السنة 8، العدد 80 ، أكتوبر 1985 ، (65-78) .